

يهدى ولا يباع

الرغبة والرهبة

منهج ثابت في الكتاب والسنة





إعداد

محمد بن جميل زينو

المدرس فى دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

الرغبة والرهبة

منهجٌ ثابتٌ في الكتاب والسُّنَّة

تأليف
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية

الطبعة الأُولى
١٤٢٤ هـ

اقرأ سلسلة التوجيهات للمؤلف

١- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع .
٢- أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة .
٣- شرح أركان الإسلام والإيمان .
٤- منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .
٥- العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة .
٦- قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية .
٧- حكم الدخان والتدخين على ضوء الطب والدين .
٨- تنبيهات هامة على صفوة التفاسير .
٩- معلومات مهمة من الدين لا يعلمها كثير من المسلمين .
١٠- كيف نفهم القرآن ؟
١١- تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين .
١٢- كيف نربي أولادنا التربية الإسلامية الصحيحة ؟
١٣- صفة حجة النبي ﷺ ، والحج المبرور .
١٤- توجيه المسلمين إلى طريق النصر والتمكين .
١٥- معجزة الإسراء والمعراج .
١٦- من بدائع القصص النبوي الصحيح .
١٧- نداء إلى المربين والمربيات .

سمحت بطباعته مراقبة الكتب والمطبوعات

إذا أردت أن يكون لك الأجر في حياتك وبعد موتك، فاطبع هذا الكتاب، أو ساهم في طبعه، واتصل بالمؤلف ليساعدك على الطبع بأرخص سعر ممكن ويرسل لك نسخة مزيدة ومنقحة

ص. ب ٦٠١ مكة المكرمة هاتف المنزل: ٥٥٦١١٨٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إلٰهَ إلا الله، وحده لا شريك له،

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن موضوع الرغبة والرهبة قد أخطأ فيه بعض الكتاب والمؤلفين، مع أنه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار:

١-قال الله تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ ((الحجر ٤٩-٥٠))

فأنت ترى أن الله تعالى جمع بين الترغيب والترهيب في آيتين:

أ- ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾:

فيها ترغيب في مغفرة الله ورحمته.

ب- ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾:

فيها وعيد بعذاب الله الأليم.

والحكمة في هذا الجمع: أن يكون المؤمن بين الرجاء والخوف. وهذه طريقة الأنبياء ومنهجهم الذين مدحهم الله حيث قال:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ((الأنبياء ٩٠))

٢-جاء الأمر بالقرآن في الجمع بين الخوف والرجاء في قوله:
﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾
يأمرنا الله تعالى أن ندعوه، والأمر يفيد الوجوب، كما هو معروف عند علماء الأصول.

٣-وأما السنة، فقد علم النبي ﷺ الصحابي أن يقول عند نومه:
(اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ) [أي رغبة في جنتك، وخوفاً من نارك] « متفق عليه »

وإذا أردت التفصيل، فعليك أن تقرأ الكتاب بأسلوبه السهل.
والله أسأل أن ينفع به المسلمين، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

محمد بن جميل زينو



آيات الترغيب

١-قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ « البقرة ٨٢ »

٢-وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ « آل عمران ١٥ »

٣-وقال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ ﴾ « آل عمران ١٧٩ »

٤-وقال الله تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ « المائدة ٣٥ »

٥-وقال الله تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ « الأعراف ١٥٦ »

٦-وقال الله تعالى:
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ « الزمر ٥٣ »

٧-وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ « المطففين ٢٢-٢٦ »

٨-وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ « الشرح »

آيات الترهيب

١- قال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ « البقرة ٢٤ »

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ « البقرة ٤٠ »

٣-وقال الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ « آل عمران ٢٨ »

٤- وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ « الأنعام ٤٠-٤١ »

٥- وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ « الأنفال ٢٥ »

٦- وقال الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ « هود ١٠٢-١٠٦ »

٧-وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ « الحج ١ »

٨- وقال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ « الرحمن ٤٦ »

٩- وقال الله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ « الطور ٢٥-٢٨ »

١٠- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ « البروج ١٢ »

١١- وقال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ « آل عمران ١٣١ »



آيات الترغيب والترهيب

١- قال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ « البقرة ٢٤-٢٥ »

٢-وقال الله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ « آل عمران ٥٦-٥٧ »

٣-وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً ﴿٥٧﴾ ﴾ «النساء ٥٦-٥٧ »

٤-وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ «المائدة ٩-١٠ »

٥-وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأنعام ١٦٥)

٦-وقال الله تعالى:

﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ ((الأعراف ٥٥-٥٦))

٧- وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٤٧ ﴾ ((الأنعام ١٤٧))

٨- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٦ ﴾ ((الرعد ٦))

٩-وقال الله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٨ ﴾الرعد

١٠- وقال الله تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠ ﴾ ((الحجر ٤٩-٥٠))

١١- وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ۝٨٨ ﴾ ((الكهف ٨٧-٨٨))

١٢- وقال الله تعالى: ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥ ﴾ ((سبا ٤-٥))

١٣-وقال الله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ « غافر ٣ »

١٤- وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ « النازعات ٣٧-٤١ »

١٥- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ « الانفطار ١٣-١٤ »

١٦- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾ « البروج ١٢-١٤ »



الأنبياء والترغيب والترهيب

١- قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ « البقرة ٢١٣ »

قال الشيخ السعدي في تفسيره رحمه الله:

مُبشرين من أطاع الله بثمرات الطاعات، من الرزق والقوة في البدن والقلب والحياة الطيبة، وأعلى ذلك الفوز برضوان الله والجنة ، ومُنذرين من عصى الله بثمرات المعصية، ومن حرمان الرزق، والضعف والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك: سخط الله ودخول النار.

٢- وقال الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ « النساء ١٦٥ »

قال ابن كثير في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب ... إلخ.

٣- وقال الله تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ « الأنعام ٤٨ »

قال الشيخ السعدي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: يذكر تعالى زبدة ما أرسل به

المرسلين، إنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشِّر والمَبشَّر به، والأعمال التي إذا عملها العبد حصلت له البشارة، والمنذِر والمنذَر به، والأعمال التي من عملها حقت عليه النذارة.

٤- قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ « الأعراف ١٨٨ »

قال الشيخ السعدي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ ﴾: أُنذر بالعقوبات الدنيوية والأخروية، وأُبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأُحذر منها.

﴿ وَبَشِيرٞ ﴾ بالثواب العاجل والآجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل واحد يقبل هذه البشارة والنذارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي ﷺ، ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضر؛ فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع عمن لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه ﷺ، الذي فاق نفع الآباء والأمهات والأخِلاء والإخوان، بما حث به العباد على كل خير، وحذرهم من كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح.

٥- وقال الله تعالى:

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ ﴾ «هود٢»

قال ابن كثير في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ ﴾: أي إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه، كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا، ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:

(يَا صَبَاحَاهْ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا: مَا لَكَ؟

قَالَ: أَرَأَيْتُم لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾) «متفق عليه»



من أقوال المفسرين

أولاً: قال الله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ((الأعراف ٥٦))

١- قال القرطبي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾: ((الأعراف ٥٦))

أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الخوف والرجاء للإنسان كالجناحين للطائر، يحملانه في طريق استقامة، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، قال الله تعالى:

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ : ((الأنبياء ٩٠))

وسيأتي القول فيه. قال القشيري:

[والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار، والطمع: توقع المحبوبَ].

وقال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء. قال رسول الله ﷺ:

(لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) ((رواه مسلم))

٢- قال الحافظ ابن كثير في تفسيره رحمه الله:

وأمر بعبادته والتضرع إليه، والتذلل لديه؛ فقال:

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾: ((الأعراف ٥٦))

أي: خوفاً مما عنده من وبيل عقابه، وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه.

٣- قال الماوردي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾ : «الأعراف ٥٦»

أحدهما: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الردّ، وطمعاً في الإجابة.

٤- قال البغوي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾: «الأعراف ٥٦»

أي خوفاً منه ومن عذابه، وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه.

٥- قال العلامة السعدي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًا ﴾: «الأعراف ٥٦»

أي: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه، طمعاً في قبولها وخوفاً من ردها، لا دعاء عبد مدلّ على ربه، قد أعجبته نفسه؛ ونزَّل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافلٍ لاهٍ.

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء:

أ- الإخلاص فيه لله وحده: لأن ذلك يتضمنه الخفية.

ب- إخفاؤه وإسراره.

ج- أن يكون القلب خائفاً طامعاً، لا غافلاً ولا آمناً، ولا غير مبال بالإجابة.

وهذا من إحسان الدعاء: فإن الإحسان في كل عبادة، بذل الجهد فيها، وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

٦- قال العلامة الشوكاني:

قوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾: « الأعراف ٥٦ »

إعرابهما يحتمل الوجهين المتقدمين في : (تضرعاً وخفية)، وفيه: أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجلاً ، طامعاً في إجابة الله لدعائه، فإنه إذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء، ظفر بمطلوبه، والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يؤمن وقوعها، والطمع: توقع حصول الأمور المحبوبة.

قوله: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾: « الأعراف ٥٦ »

هذا إخبار من الله سبحانه بأن رحمته قريبة من عباده المحسنين، بأي نوع من الأنواع كان إحسانهم، وفي هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتنشيط لهم، فإن قرب هذه الرحمة التي يكون بها الفوز بكل مطلب، مقصود لكل عبد من عباد الله.

ثانياً: قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥ ﴾ « الأنعام ١٦٥ »

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره رحمه الله:

ترهيب وترغيب: إن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾: « الأنعام ١٦٥ »

لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله:

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ « الرعد ٦ »

وقوله:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ « الحجر ٤٩ »

إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنة، والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار وأنكالها وعذابها، والقيامة وأهوالها، وتارة بهما معاً، لينجع في كل بحسبه. جعلنا الله ممن أطاع فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء، جواد كريم وهّاب.

ثالثاً: قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ « الأعراف ٥٥ »

قال الماوردي في تفسيره رحمه الله:

أحدهما: في الرغبة والرهبة، قاله ابن عباس. [لم يثبت ومخالف للمعنى]

والثاني: التضرع وهو التذلل والخضوع، والخفية وهي إخلاص القلب، ويحتمل أن التضرع بالبدن، والخفية إخلاص القلب.

رابعاً: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ « الرعد ٦ »

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره رحمه الله:
قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة:
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾: « الرعد ٦ »
أي: إنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس، مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب، ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال الله تعالى:
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ « الأنعام ١٤٧ »
وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ الأنعام
وقال أيضاً: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ « الحجر ٤٩ »
إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الخوف والرجاء.
قال الله تعالى:
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ « الأعراف ١٦٨ »
قال الحافظ ابن كثير:
قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾: « الأعراف ١٦٨ »
أي: لمن عصاه وخالف أمره.
﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ : « الأعراف ١٦٨ »
أي: لمن تاب إليه وأناب.

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة، لئلا يحصل اليأس؛ فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً: لتبقى النفوس بين الخوف والرجاء.

خامساً: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ « الأنبياء ٩٠ »

١- قال القرطبي في تفسيره رحمه الله:

قوله: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾: « الأنبياء ٩٠ »

أي: يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وفي حال الشدة، وقيل: المعنى: يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان.

٢- قال ابن الجوزي رحمه الله:

قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾: « الأنبياء ٩٠ »

أي: يبادرون في طاعة الله.

وقوله تعالى:﴿ وَيَدْعُونَنَا ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن محيصن: ﴿ وَيَدْعُونَا ﴾ بنون واحدة.

قوله تعالى: ﴿ رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾: « الأنبياء ٩٠ »

أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منا.

٣- قال البغوي رحمه الله:

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة.

﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾:

[رغباً: طمعاً في رحمة الله، ورهباً: خوفاً من عذاب الله]،

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾: أي: متواضعين.

أ- قال قتادة: ذُلُلاً لأمر الله.

ب-قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

٤- قال السيوطي رحمه الله:

عن ابن جريج في قوله: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾:

قال: رغباً: طمعاً، ورهباً: خوفاً، وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر.

٥- وأخرج ابن المبارك عن الحسن في قوله:

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾: « الأنبياء ٩٠ »

قال: الخوف الدائم في القلب.

٦- وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله تعالى:

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾: « الأنبياء ٩٠ »

قال: دام خوفُهم ربَّهم، فلم يفارق خوفُه قلوبهم، إن نزلت بهم رهبة خافوا أن يكون الله عز وجل قد أمر بأخذهم لبعض ما سلف منهم.

٧-وعن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر الصديق ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ « الأنبياء ٩٠ »

٨- قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله:

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾: « الأعراف ٥٦ »

أعاد الأمر بالدعاء بقيد آخر بعد أن وسط بينهما النهي عن الإفساد، للإيذان بأن من لا يعرف نفسه بالحاجة والافتقار إلى رحمة ربه الغني القدير، وفضله وإحسانه، ولا يدعوه تضرعًا وخفية، ولا خوفاً من عقابه، وطمعاً في غفرانه؛ فإنه يكون أقرب إلى الإفساد منه إلى الإصلاح، إلا أن يعجز.

والمعنى: وادعوه خائفين، أو ذوي خوف من عقابه إياكم على مخالفتكم لشرعه، المصلح لأنفسكم وَلذات بينكم، وتنكبكم لسننه المطردة في صحة أجسامكم، وشؤون معاشكم - وهذا العقاب يكون بعضه في الدنيا وباقيه في الآخرة - وطامعين في رحمته وإحسانه في الدنيا والآخرة.

والقول الجامع في حال النفس عند الدعاء، أن تكون غارقة

الشعور بالعجز والافتقار إلى الرب القدير الرحيم، الذي بيده ملكوت كل شيء، يُصرِّف الأسباب، ويعطي بحساب وبغير حساب، فإن دعاء الرب الكريم بهذا الشعور، يقوي أمل النفس، ويحول بينها وبين اليأس عند تقطع الأسباب، والجهل بوسائل النجاح، ولو لم يكن للدعاء فائدة إلا هذه لكَفَت، فكيف وهو مخ العبادة ولبابها، وإجابته مرجوة بعد استكمال شروطه وآدابه: وأولها عدم الاعتداء فيه، فإن لم تكن بإعطاء الداعي ما طلبه، كانت بما يعلم الله أنه خير له منه، ولا أرى بأساً بأن أقول غير مبالٍ بإنكار المحرومين: إنني قلما دعوت الله دعاء خفياً، شرعياً، رغبة ورهبة فلم أُجب فيه، أو لم يظهر لي - ولو بعد حين - أن عدم الإجابة كان خيراً منها.

سادساً: قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ « الإسراء ٥٧ »

١- قال ابن كثير في تفسيره رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾: «الإسراء ٥٧»

لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء:

فبالخوف ينكفُّ عن المناهي، وبالرجاء يُكثر من الطاعات.

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾: « الإسراء ٥٧ »

أي: ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذاً بالله.
٢- وقال السعدي رحمه الله:
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ من الأنبياء والصالحين والملائكة.
﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾:
أي: يتنافسون في القرب من ربهم، ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة، المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه، فيجتنبون كل ما يوصلهم إليه.
﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾:
أي: هو الذي ينبغي شدة الحذر منه، والتوقي من أسبابه.
وهذه الأمور الثلاثة: الخوف، والرجاء، والمحبة، التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده، هي الأصل والمادة في كل خير.
فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور.
وعلامة المحبة ما ذكره الله، أن يجتهد العبد في كل عمل والنصح فيها، وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب.
سابعاً: قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾ « الزمر ٩ »

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾:

أي: في حال عبادته خائف راج، ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب، ولهذا قال:

﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾:

فإذا كان وقت الاحتضار، فليكن الرجاء هو الغالب عليه.

عَنْ أَنَس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: دَخَلَ عَلَى شَابّ وَهُوَ فِي الْمَوْت فَقَالَ لَهُ:(كَيْف تَجِدُك ؟ فَقَالَ : أَرْجُو اللَّهَ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ:لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْب عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّه مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَاف) اهـ « رواه الترمذي وحسنه الألباني»



أحاديث الخوف

وأما الأحاديث فكثيرة جداً، فنذكر منها طرفاً، وبالله التوفيق.

١- قال رسول الله ﷺ:
(يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا) « رواه مسلم »

٢- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
(إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ) « متفق عليه »

٣- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ أن نبي الله ﷺ قال:
(مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ) [حجزته: وسطه، ترقوته: رقبته] « رواه مسلم »

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال:
(يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ) « متفق عليه »

قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرحه(رياض الصالحين)للنووي: هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى، كلها أحاديث تفيد الخوف من يوم القيامة ومن عذاب النار؛ فذكر أحاديث منها:

أنه يؤتى يوم القيامة بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وهذا يدل على عظمة هذه النار – نسأل الله أن يعيذنا والمسلمين منها، ومن هول ذلك اليوم – لأن الله تعالى جعل سبعين ألف ملك مع كل زمام من سبعين ألف زمام يجرُّون بها جهنم، والعياذ بالله. فهذا العدد الكبير من الملائكة، يدل على أن الأمر عظيم، والخطر جسيم.

ويَيَّن النبي ﷺ أن أهون أهل النار عذاباً، من يوضع تحت قدميه جمرتان من نار، يغلي منهما دماغه، وهو يرى أنه أشد الناس عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً؛ لأنه لو رأى غيره، لهان عليه الأمر، وتسلى به، ولكنه يرى أنه أشد الناسِ عذاباً، والعياذ بالله، فحينئذْ ينضجر ويزداد بلاء، ومرضاً نفسياً، ولذلك ذكر النبي ﷺ هذا الحديث، تحذيراً لأمته من عذاب النار.

وذكر أيضاً أن من الناس من تبلغ النار كعبيه، وإلى ركبتيه، وإلى حجزته.

وذكر أيضاً أن الناس يوم القيامة، يبلغ العرق منهم إلى الكعبين وإلى الركبتين، والحقوين، ومن الناسِ من يلجمه العرق إلجاما. فالأمر خطير، فيجب علينا جميعاً أن نحذر من أهوال هذا اليوم، وأن نخاف الله سبحانه وتعالى، فنقوم بما أوجب علينا، وندع ما حرم علينا.

نسأل الله أن يعيننا والمسلمين على ذلك، بمنّه وكرمه.

٥- وعن أنس ﷺ، قال:
خَطَبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ،
(قَالَ: لَوْ تعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ) « متفق عليه »

٦- وفي رواية عنه أنه قَالَ:
بَلَغ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ أَصْحَابِه شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ:
(عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ غَطَّوْا رُءوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ) [صوت يخرج من الأنف] « رواه مسلم »

٧- وعن المقداد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:
(تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرَق:
فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً) « رواه مسلم »
[حقويه: هما معقد الإزار في الوسط]

٨- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:
(يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حتى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) « رواه مسلم »

٩- وعنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انتهَى إِلَى قَعْرِهَا) [وَجْبَة: صوتُ السَّاقط] « رواه مسلم »

١٠- وعن عدي بن حاتم ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنهُ فَلا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) « متفق عليه »

١١- وعن أبي ذر ﷺ قال:
قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:
(إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبع أَصَابِعَ إلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ.

وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ) « رواه الترمذي وقال حديث حسن »

[أطت السماء: أخرجت صوتاً من كثرة من فيها من الملائكة العابدين]

١٢- وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
(لا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنفقهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟)«الترمذي حديث صحيح »

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف رحمه الله، كلها أحاديث تدل على عظم يوم القيامة وأن على المؤمن أن يخاف من هذا اليوم العظيم.

ذكر أحاديث فيها دنو الشمس من الخلائق بقدر ميل:

قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد:

لا أدري أيريد بذلك مسافة الأرض، أم ميل المكحلة، وكلاهما قريب؛ وإذا كانت الشمس في أوجها في الدنيا وبعدها عنا، بهذه الحرارة، فكيف إذا كانت بهذا القرُب؟!

وذكر أحاديث العرَق، وأن الناس يعرقون حتى يبلغ العرَق من الأرض سبعين ذراعاً، وحتى يلجم بعضهم إلجاماً، وبعضهم يصل إلى كعبيه، وبعضهم يصل إلى ركبتيه، وبعضهم إلى حقويه، يختلف الناس حسب أعمالهم في هذا العرق.

وذكر أيضاً أحاديث أُخرى، فيها التحذير من نار جهنم، نسأل الله لنا وللمسلمين النجاة منها.

والحاصل أن الإنسان إذا قرأ هذه الأحاديث وغيرها مما لم يذكره المؤلف، فإن المؤمن يخاف ويحذر، وليس بين الإنسان وبين هذا إلا أن ينتهي أجله في الدنيا، ثم ينتقل إلى دار الجزاء، لأنه ينتهي العمل. أحسن الله لنا وللمسلمين الخاتمة.

١٣- عن عائشة زوج النبي ﷺ قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذه الآيَة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ « المؤمنون ٦٠ »

(قَالت عَائِشَة: أَهُم الذينَ يَشرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسرِقُونَ؟

قَالَ: لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ :

﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾) « رواه الترمذي وصححه الحاكم والذهبي، والألباني في الصحيحة »

قال الشيخ الألباني رحمه الله:

قلت: والسرُّ في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم؛ فإن هذا خلاف وعد الله إياهم، وذلك في مثل قوله:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ آل عمران

بل ليزيدهم عليها؛ كما قال الله تعالى:

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ « فاطر ٣٠ »

والله تعالى لا يخلف وعده؛ كما قال في كتابه، وإنما السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عز وجل، وهم لا

يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصَّروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبلٍ منهم.

فليتأمل المؤمن هذا؛ عسى أن يزداد حرصا على إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه ﷺ في هديه فيها، وذلك معني قوله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ « الكهف ١١٠ »

ثم رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً جيداً حول هذا الحديث بنحو ما ذكرت فراجع رسالته في « التوبة ».



أحاديث الرجاء

١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) « متفق عليه »

٢- وقال رسول الله ﷺ:
(مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ) « رواه مسلم »

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل:
(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً) « رواه مسلم »

٤- وعن حُمَيدقال: سمعت أنساً رضي الله عنه قال: سمِعْتُ النبي ﷺ يقول: (إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ شُفِّعْتُ فَقُلْتُ: يـارَبِّ، أدْخِلِ الجنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ [مِن الإيمان] فَيَدْخُلونَ ثُمَّ أقولُ: أدْخِلِ الجنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِه أدْنَى شيءٍ). فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ. « البخاري »

٥- وعن أَنَسِ بْن مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قال:

(يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ.

قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا.

قَالَ إِذًا يَتَّكِلُوا فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا) « متفق عليه »

[تأثماً: خوفاً من الإثم في كتم العلم]

٦- وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) « رواه مسلم »

٧- وعن أَنَس بْن مَالِك قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ:

(قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي

شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) «رواه الترمذي وقال حديث حسن»

[عنان السماء: ما ظهر منها، وقراب الأرض: ما يقارب ملأها]

٨- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه:

(قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ:

أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟

قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ.

فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) «متفق عليه»

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي) «متفق عليه»

وفي رواية: (سَبَقَتْ غَضَبِي)

١٠- وعنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

(جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ) «متفق عليه»

١١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ،

وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) « متفق عليه »

١٢- وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) « رواه مسلم »

١٣-وقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ) « مسلم »

١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) « رواه مسلم »

١٥- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ:

(لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، يَغْفِرُ لَهُمْ) « مسلم »

١٦-عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

(كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ)

وذكر الحديث بطوله إلى أن قال:

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ:

اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ) « رواه مسلم ».

١٧- سُئِلَ ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى قَالَ

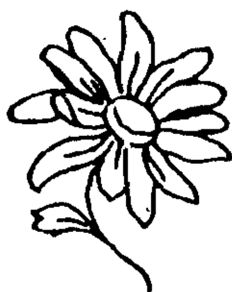
(يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ، حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ:

عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ.

وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ:

إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ) « متفق عليه »

[يدنو: يقرب المؤمن من ربه يوم القيامة، كنفه: ستره ورحمته]



أحاديث الخوف والرجاء

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
(إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ.
قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟
قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ
قَالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي؟
قَالَ: فَيَقُولُونَ لا. وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ
قَالَ: فَيَقُولُ: وكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟
قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا.
قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟
قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ.
قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟
قَالَ: يَقُولُونَ: لا. وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.
قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟
قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً.

قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟
قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ.
قَالَ: يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟
قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا.
قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟
قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.
قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ.
قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ هُم الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) « متفق عليه »

قال ابن حجر رحمه الله: ونقل عن بعض العارفين قال:
الذكرعلى سبعة أنحاء : فذكرالعينين بالبكاء وذكر الأذنين بالإصغاء وذكراللسان بالثناء وذكر اليدين بالعطاء وذكر البدن بالوفاء وذكر القلب بالخوف والرجاء وذكر الروح بالتسليم والرضاء .

وقال ابن حجر: وفيه أن الذي اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات، **والنار** من أنواع المكروهات؛ فوق ما وصفنا به، وأن الرغبة والطلب من الله تعالى، والمبالغة في ذلك، من أسباب الحصول انتهى. « الفتح ج ٨ / ٤٠٦ »

وقال الحافظ عند شرح حديث الكسوف « في الفتح رقم ١٠٤٤ »:
ومن حكمة وقوع الكسوف ... والتنبيه على سلوك طريق الخـــوف

مع الرجاء لوقوع الكسوف بالكوكب ثم كشف ذلك عنه؛ ليكون المؤمن من ربه على خوف ورجاء.

٢- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ:

اَللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ) [الفطرة: الإسلام] « متفق عليه »

قال الألباني رحمه الله في تعليقه على حديث «رياض الصالحين» قوله:(**أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ**):أي جعلته منقاداً لك تابعاً لحكمك وقوله:(**وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ**):أي: توكلت عليك لتعينني على ما ينفعني.

وقوله: (**رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ**): أي: رغبة في رفدك وثوابك، ورهبة: أي خوفاً من غضبك وعقابك.

قلت: وفيه إشارة إلى بطلان قول من قال في مناجاته:

« ما عبدتك رغبة في جنتك ولا رهبة من نارك .... »

فإن هذا لا يخرج من عارف بالله حقاً فتأمل. انتهى.

٣- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ:
(كَيْفَ تَجِدُكَ؟
قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ) «أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن»

قال الألباني رحمه الله في كتابه الفريد:
(أحكام الجنائز وبدعها)، في باب ما يجب على المريض:
وينبغي عليه - أي المريض - أن يكون بين الخوف والرجاء، يخاف عقاب الله على ذنوبه، ويرجو رحمة ربه، لحديث أنس:

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ:
(لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)
« رواه مسلم »

٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ:
(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ) « متفق عليه »

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

ساق المؤلف هذا الحديث من أجل أن نخاف ونرجو، نخاف على أنفسنا من الفتنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائماً الثبات، وكان النبي ﷺ يقول:

(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) « صحيح رواه الترمذي »

هذا وهو النبي ﷺ.

وأيضاً نأخذ من هذا الحديث أن لا نيأس، ولا نيأس من شخص نجده على الكفر أو الفسق، ربما يهديه الله في آخر لحظة، ويموت على الإسلام.

نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يتوفانا على الإيمان، بمنّه وكرمه. « شرح رياض الصالحين »

٦- عن جابر ﷺ، قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ:

(يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) « مسلم »

[الموجبتان: الخصلة الموجبة للجنة، والخصلة الموجبة للنار]

أقوال العلماء في الخوف والرجاء

١-قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في كتابه: « العقيدة الطحاوية »:

نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم؛ والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

قال الشارح ابن أبِي العز الحنفِي رحمه الله:

يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ « البقرة ٢١٨ »

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء والكذب.

قال أبو علي الروذباري رحمه الله:

الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ « الزمر ٩ »

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ « السجدة ١٦ »

فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان آمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه، وقال صاحب« منازل السائرين» :

الرجاء أضعف منازل المريد! وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل العبد .

وعن وَاثِلَة أنه قال لأبي الأسود:

(أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ)

« صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده »

وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَال:
(قَالَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِه بِثَلاثٍ يَقُولُ:
(لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) « رواه مسلم »

ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن صحته، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير من عمل الخـ ـــير ثواباً عجبت من كبره
أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ـــر جزاء أشفقت من حذره

« انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٠،٣٣١ »

٢- قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة رياض الصالحين:

فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة، المشتملة على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة، ومحصلاً لآدابه الباطنة والظاهرة. جامعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد، ورياضات النفوس، وتهذيب

الأخلاق وطهارات القلوب وعلاجها، وصيانة الجوارح وإزالة اعوجاجها، وغير ذلك من مقاصد العارفين. انتهى باختصار.

قلت: وقد قرر الإمام النووي هذا المنهج الأصيل في كتابه هذا، فقد جعل باباً خاصاً للخوف ثم أتبعه بباب آخر؛ وهو باب الرجاء. ثم بباب آخر قال فيه:

باب الجمع بين الخوف والرجاء. ثم قال تحت هذا الباب:

اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يُمحِّض الرجاء. وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك، متظاهرة على ذلك. ثم ذكر الآيات وقال بعدها:

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين، أو آية، ثم ذكر الأحاديث.

وقال في كتابه النافع « الأذكار »: باب في آداب الدعاء.

وقال أبو حامد الغزالي في الإحياء: آداب الدعاء عشرة: ...

السادس: التضرع والخشوع والرهبة، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ « الأنبياء ٩٠ »

وقال تعالى:

﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ « الأعراف ٥٥ »

قلت: وكتاب الإحياء هذا فيه أخطاء عقدية، ومنهجية، وحديثية ينبغي لقارئه أن يكون منه على حذر.

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فالتوحيد ضد الشرك، فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله، فعبَده لا يشرك به شيئاً كان موحداً، ومن توحيد الله وعبادته: التوكل عليه ، والرجاء والخوف منه، فهذا يخلِّص به العبدَ من الشرك ...إلخ.

وقال: فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: إشارة إلى عبادته بما اقتضته إلَهيته: من المحبة، والخوف، والرجاء، والأمر، والنهي.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾: إشارة إلى ما اقتضته الربوبية: من التوكل والتفويض والتسليم؛ لأن الرب - سبحانه وتعالى - هو المالك، وفيه أيضاً معنى الربوبية والإصلاح، والمالك: الذي يتصرف في ملكه كما يشاء.

٤- قال ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه الرسالة التبوكية:

وأما التقوى فحقيقتها: العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً؛ فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر، وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه، إيماناً بالنهي، وخوفاً من وعيده.

كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوى، قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله،

ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله.

وهذا أحسن ما قيل في التقوى: فإن كل عمل لا بُد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة، حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه، وغير ذلك. بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وهو: الاحتساب.

ولهذا كثيراً ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ:

(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا .....) « رواه البخاري »

(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا....) « رواه البخاري »

فقوله: « على نور من الله»: إشارة إلى الأصل الأول:

وهو الإيمان الذي هو مصدر العمل والسبب الباعث عليه.

وقوله: « ترجو ثواب الله »: إشارة إلى الأصل الثاني:

وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها وقع العمل، ولها يقصد به. ولا ريب أن هذا اسم لجميع أصول الإيمان وفروعه، وأن البر داخل في هذا المسمى.

٥- وقال السعدي رحمه الله في كتابه القيم « القواعد الحسان »:

قوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾: يدخل فيه الأمران، فكما أن

من كمال الطلب: كثرة التضرع والإلحاح، وإظهار الفقر والمسكنة، وإخفاء ذلك وإخلاصه، فكذلك دعاء العبادة، فإن العبادة لا تتم ولا تكتمل، إلا بالمداومة عليها ومقارنة الخشوع والخضوع لها، وإخفاؤها وإخلاصها لله تعالى.

وكذلك قوله عن خلاصة الرسل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ « الأنبياء ٩٠ »

فإن الرغبة والرهبة وصف لهم كلما طلبوا وسألوا، ووصف لهم كلما تعبدوا وتقربوا بأعمال الخير والقرب.

٦- قال الشيخ الألباني رحمه الله، في معرض إبطاله لحديث يروى عن شعيب عليه السلام، في مناجاته لربه تبارك تعالى وهو:

(بكى شعيب النبي ﷺ من حب الله عز وجل حتى عمي، فرد الله إليه بصره، وأوحى إليه: يا شعيب ما هذا البكاء؟! أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ قال: إلهي وسيدي أنت تعلم، ما أبكي شوقاً إلى جنتك، وخوفاً من النار، ولكني اعتقدت حبك بقلبي، فإذا أنا نظرت إليك فما أبالي ما الذي صنع بي، فأوحى الله عز وجل إليه: إن يك ذلك حقاً فهنيئاً لك لقائي يا شعيب! ولذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي) فقال الشيخ: ضعيف جداً.

وبعد أن بين ضعف الطرق قال: ومما ينكر في هذا الحديث قوله: ما أبكي شوقاً إلى جنتك، ولا خوفاً من النار، فإنها فلسفة

صوفية، اشتهرت بها رابعة العدوية - إن صح ذلك عنها - فقد ذكروا أنها كانت تقول في مناجاتها:
رب ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك، وهذا كلام لا يصدر إلا ممن لم يعرف الله تبارك وتعالى حق معرفته، ولا شعر بعظمته وجلاله، ولا بجوده وكرمه، وإلا لتعبده لما عنده من نعيم مقيم، ومن ذلك رؤيته سبحانه وتعالى، وخوفاً مما أعده للكفار والعصاة من الجحيم والعذاب الأليم، ومن ذلك حرمانهم من النظر إليه، كما قال الله تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ « المطففين ١٥ »

ولهذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وهم العارفون بالله حقاً - لا يناجونه بمثل هذه الكلمات الخيالية، بل يعبدونه طمعاً في جنته - وكيف لا - وفيها ما تسمو إليه النفس المؤمنة وهو النظر إليه سبحانه، ورهبة من ناره، ولِمَ لا؟
وذلك يستلزم حرمانهم من ذلك، ولهذا قال تعالى، بعد أن ذكر نخبة من الأنبياء:

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ « الأنبياء ٩٠ »

ولذلك كان النبي ﷺ أخشى الناس لله، كما ثبت في غير ما حديث صحيح عنه.

هذه كلمة سريعة حول تلك المقولة العدوية، التي افتتن بها كثير من الخاصة، فضلاً عن العامة، وهي في الواقع:

﴿ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ « النور ٣٩ »

وكنت قرأت حولها بحثاً فياضاً ممتعاً في تفسير ابن باديس، فليراجعه من شاء زيادة بيان.

٧- قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله في كتابه النفيس « شرح رياض الصالحين »:

قال المؤلف رحمه الله: باب الخوف، الخوف ممن؟ الخوف من الله عز وجل؛ لأن الذي يعبد الله يجب أن يكون خائفاً راجياً: إن نظر إلى ذنوبه، وكثرة أعماله السيئة خاف، وإن نظر إلى أعماله الصالحة، وأنه قد يشوبها شيء من العجب والإدلال على الله خاف، وإن نظر إلى أعماله الصالحة وأنه قد ينالها شيء من الرياء خاف، وإن نظر إلي عفو الله ، ومغفرته، وكرمه وحلمه ورحمته رجا، فيكون دائراً بين الخوف والرجاء.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ ﴾:

يعني يُعطون ما أَعطَوا من الأعمال الصالحة

﴿ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ : خائفة ألا تقبل منهم.

﴿ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾ « المؤمنون ٦٠ »

فينبغي؛ بل يجب أن يكون سير الإنسان إلى الله عز وجل دائراً

بين الخوف والرجاء، لكن أيهما يغلب؟ هل يغلب الرجاء؟ أم يغلب الخوف؟ أم يجعلهما سواء؟

قال الإمام أحمد رحمه الله: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه: لأنه إن غلَّب جانب الرجاء صار من الآمنين من عذاب الله، وإن غلَّب جانب الخوف صار من القانطين من رحمة الله، وكلاهما سيء، فينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً. ا هـ. قلت: ويُغلِّب الرجاء على الخوف عند موته.

ثم ذِكر المؤلف رحمه الله آيات في سياق باب الخوف، سبق بعضها، ومنها قوله تعالى:

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ « آل عمران ٢٨»

يعني أن الله عز وجل يحذرنا من نفسه أن يعاقبنا على معاصينا

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ « الحج ١-٢»

هذا أيضاً فيه أن الإنسان يجب أن يخاف هذا اليوم العظيم، الذي قال الله عنه:﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾:

يعني من شدة ما ترى من الأهوال والأفزاع.

﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ ﴾:
يعني مشدوهين ليس عندهم عقول، ولكنهم ليسوا بسكارى
﴿ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾.
وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ﴾ وسبق الكلام عنها.
قال تعالى:
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ « الرحمن ٤٦ »
أي من خاف المقام الذي بين يدي الله عز وجل، فإنه سوف يقوم بطاعته، ويخشى من عقابه، فله جنتان، وفي أثناء الآيات يقول:
﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ « الرحمن ٦٢ »
فهذه أربع جنات لمن خاف مقام الله عز وجل، ولكن الناس فيها على درجات. نسأل الله أن يجعلنا من أهلها بِمَنِّهِ وكرمه.
٨- قال الشيخ سليم بن عيد الهلالي حفظه الله في كتابه « مدارج العبودية من هدي خير البرية » تحت عنوان (من بدع العبودية):
١- عبادة الله دون رغبة في الجنة أو رهبة من النار:
ادعى الصوفية أن العبودية الحقة، هي ما كانت دون عوض من الله، وزعموا أن ميل القلب للجنة يعاقب الله عليه.
وهذه العقيدة مخالفة للكتاب والسنة من وجوه:

أ- وصف الله سبحانه الأنبياء في عبوديتهم لله، وتقربهم إليه بأنهم كانوا يطمعون في جنته، ويرهبون عذابه، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ((الأنبياء ٩٠))

ب- وصف الله المؤمنين الكمل، والمتقين الخلص، بأنهم يعبدون الله خوفاً وطمعاً، فقال في سورة السجدة:

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

ج- ولقد كان رسول الله يسأل الله الجنة، ويستعيذ به من النار:

عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لِرَجُلٍ كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟

قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ) ((رواه أبو داود وصححه الألباني))

فإذا كان رسول الله ﷺ يُدندن حول الجنة طمعاً فيها، ويستعيذ من النار خوفاً منها، وكذلك كان أصحابه يفعلون، فهل يتصور المتصوفة المتهوكون أنهم أكمل إيماناً من الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام، و من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأعمق يقيناً من رسول الله ﷺ ؟!

٢- تعطيل العبودية بدعوى سقوط التكاليف الشرعية، كلما اقترب العبد من الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فمن وقف عند هذه الحقيقة وشهودها، ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية، التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته، وطاعة أمره وأمر رسوله، كان من جنس إبليس وأهل النار.

فإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله، وأهل المعرفة والتحقيق، الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان، كان من أشد أهل الكفر والإلحاد.

ومن ظن أن الخضر وغيره، سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين بالله ورسوله.

وقد أبطل ابن القيم رحمه الله هذه الدعوى، كما هو في الفصل الآتي:



لزوم العبودية حتى الموت

قال ابن القيم رحمه الله: قال الله تعالى لرسوله ﷺ:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝ ﴾ « الحجر ٩٩ »

وقال أهل النار:

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ ﴾ «المدثر ٤٦-٤٧»

وفي الصحيح في قصة عثمان بن مظعون ؓ أن النبي ﷺ قال:

(أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ الْيَقِينُ وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ، قَالَتْ فَوَاللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ قَالَتْ فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ذَاكِ عَمَلُهُ) « رواه البخاري »

[اليقين: أي الموت وما فيه].

فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف.

ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد؛ فهو زنديق كافر بالله ورسوله، وإنما وصل لمقام الكفر بالله، والانسلاخ من دينه، بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر، وأكثر من الواجب على من دونه.

ولهذا كان الواجب على رسول ﷺ - بل على جميع الرسل- أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولى العزم أعظم

من الواجب على من دونهم، والواجب على أولى العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته.

وتأمل أحوال الرسول ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا كلما ترقّوا إلى القرب في مقام عظُم جهادهم واجتهادهم، لا كما ظنه بعض الملاحدة المنتسبين إلى الطريق حيث قال: القرب الحقيقي ينقل العبد من الأحوال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة، ويريح الجسد والجوارح من كد العمل؛ وهؤلاء أعظم كفراً وإلحاداً؛ حيث عطلوا العبودية، وظنوا أنهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي أماني النفس، وخُدع الشيطان.

وقد صرح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء، فأخرجوهم من الإسلام، وقالوا: لو وصل العبد من القرب إلى أعلى مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال الذرة؛ أي: ما دام قادراً عليه.

ولا تُصغ إلى قول ملحد قاطع للطريق في قالب عارف، يقول: إن منزلة القرب تنقل العبد من الأعمال الظاهرة إلى الأعمال الباطنة. وتَحمل الاستهانة بالطاعات الظاهرة، وتريحه من كد القيام بها. اهـ

قلت: وقد صنف أكثرُ من واحد من أهل العلم في الترغيب والترهيب مصنفاً مستقلاً يدل بوضوح، أن هذا المنهج مشهور

بينهم. ومنهم الأصفهاني، والمنذري رحمهما الله تعالى.

وأنقل من مقدمة المنذري رحمه الله لكتاب (الترغيب والترهيب) الذي يوضح فيها سبيل السالكين السائرين إلى جنات رب العالمين وأرحم الراحمين.

قال رحمه الله:

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذو العفو الواسع والعقاب الشديد، قسم الخلق قسمين، وجعل لهم منزلتين: فريق في الجنة وفريق في السعير، إن ربك فعال لما يريد، ورغّب في ثوابه، ورهّب من عقابه ...

سألني بعض الطلبة أولى الهمم العالية، ممن اتصف بالزهد في الدنيا والإقبال على الله عز وجل بالعلم والعمل، زاده الله قربا منه وعزوفاً عن دار الغرور؛ أن أُملي كتاباً جامعاً في:

الترغيب والترهيب، مجرداً عن التطويل.



هدي الرسول في عبادته

اعلم أخي المسلم وفقك الله لطاعته أن خير الهدي؛ هدي محمد ﷺ، وأن الله تعالى شرط لقبول العبادة شرطين:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

والثاني: اتباع رسول الله ﷺ.

ودليل ذلك قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ « الملك ٢ »

قال الفضيل بن عياض في تفسير الآية:

[أحسن عملاً: أخلصه وأصوبه]:

إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً؛ لم يقبل.

وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل.

والخالص؛ إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة.

إذاً لابد لنا من متابعة هدي النبي ﷺ في صلاته، وفي كل أمر من أمور ديننا العظيم، فإذا نظرنا إلى صلاة رسول الله ﷺ وجدناها صلاة رغبة ورهبة:

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

(صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةً فَأَطَالَهَا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: صَلَّيْتَ صَلاةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيهَا، قَالَ: أَجَلْ: إِنَّهَا صَلاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ.

إنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلاثًا: فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً:
سَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا،
وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا،
وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا) « الترمذي حسن صحيح »

قال المباركفوري شارح جامع الترمذي: إنها صلاة رغبة: أي رجاء، ورهبة: أي خوف؛ والمراد به أن هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء الثواب، وخوف العقاب، بخلاف سائر الصلوات إذ قد يغلب فيها أحد الباعِثَين على أدائها، قالوا: وفي قوله تعالى:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ « السجدة ١٦ »

بمعنى [أو] لمانعة الخلو، ثم لما كان سبب صلاته الدعاء لأُمته، وهو كان بين رجاء الإجابة وخوف الردّ طوَّلَها .... إلخ.

وقد بوب الإمام النسائي في « سننه الصغرى » في كتاب الصلاة: باب تعوذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب.

وأسند حديثاً عن حذيفة رضي الله عنه:

(أَنَّهُ صَلَّى إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَرَأَ:
فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ.
وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ وَقَفَ فَدَعَا، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ:
سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَفِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى) « مسلم »

ثم أتبعه بباب آخر قال:

مسألة القارئ إذا مر بآية رحمة، أو بآية عذاب.
وأسند حديثاً عن حذيفة:

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ فِي رَكْعَة: لا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إلا سَأَلَ، وَلا بِآيَةِ عَذَابٍ إلا اسْتَجَارَ)

« أخرجه النسائي وأصله في مسلم »

فهذا هديه ﷺ في قيام الليل، وهو القائل:

(صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) « البخاري »



هدي النبي في دعائه

وإذا نظرنا إلى دعائه ﷺ ، وجدناه في دعائه راغباً راهباً.

وقد أورد ابن ماجه في « سننه » في باب دعاء رسول الله ﷺ:

١- وأسند عن ابن عباس؛ أن النبي كان يقول في دعائه:

(رَبِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانصرْنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي ولا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا، مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَثَبِّت حُجَّتِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي) « رواه ابن ماجه وقال الألباني صحيح »

٢- وروت عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله علَّمها هذا الدعاء:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا) « رواه ابن ماجه وأحمد وقال الألباني صحيح »

هدي النبي في خطبه

إن خطب النبي ﷺ لا تخلو من ترغيب وترهيب:

فقد جاء في خطبته ﷺ :

(أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّه، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) ((رواه مسلم))

فدلّ على أن النبي ﷺ كان في خطبه يرغبهم، ويرهبهم:

يقول العلامة صديق حسن خان يرحمه الله:

واعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم، فهذا في الحقيقة هو روح الخطبة الذي لأجله شرعت (الموعظة الحسنة).



هدي النبي في الدعاء

كان يعلمهم الدعاء الذي يدور علي الرغبة والرهبة.

١- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ:

(فِي الْجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ) « أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح »

٢- وقال رسول الله ﷺ :

(فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)« البخاري »

وقال الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ « الأحزاب ٢١ »



هدي النبي في الجهاد

كان يحثهم على الجهاد والذب عنه ﷺ، ويرغبهم في ذلك ويعلمهم بأن لهم الجنة.

١- فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

(أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا)(١) « رواه مسلم »

وأيضاً لما كان يُسأل عن الأسباب التي تُدخل الجنة ونباعد عن النار، يُقرهم على سؤالهم، ويجيبهم إلى ما أرادوا، ويبين أن من أتى بالأعمال الصالحة يريد الجنة والرحمة وأن يباعد من النار والعذاب حصل له ما أراد.

٢- قتال المسلمين اليهود: قال رسول الله ﷺ:

(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ. فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ: هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدُ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) «رواه مسلم»

(١): أي ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال.

من فوائد الحديث: إخباره ﷺ عن قتال المسلمين لليهود، وانتصار المسلمين عليهم حينما يتمسكون بدينهم، وأن اجتماع اليهود في فلسطين يُسهل للمسلمين قتلهم، وهذا من دلائل نبوته ﷺ التي ستتحقق إن شاء الله.

٣- جهاد حكام المسلمين:

ويكون بتقديم النصيحة لهم ولأعوانهم، لقوله ﷺ:

(الدِّينُ النَّصِيحَةُ: قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟: قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) «رواه مسلم»

ولقوله ﷺ:

(أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) «حسن: أبو داود والترمذي»

٤- فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير:

قال رسول الله ﷺ:

(مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) « رواه البخاري »

٥- مكانة الجهاد الرفيعة:

قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَفْتُرُ مِنْ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** «رواه مسلم»

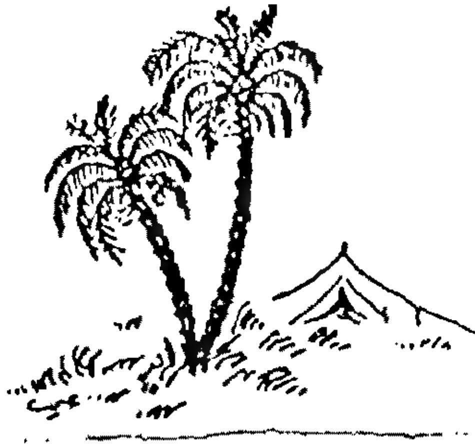
وقال رسول الله ﷺ:

(وَالّذي نَفْسِي بِيَدِه، لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ) «رواه مسلم»

٦- عدم تمني لقاء العدو، والصبر عند لقائه:

قال رسول الله ﷺ:

(أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ) (البخاري)



الرد على مخالفي المنهج

١- **الإمام النووي**: يقول في « شرح الأربعين النووية» عند حديث:
(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) «رواه مسلم»
وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاثة أحوال:
الأول: أن يفعل ذلك خوفاً من الله تعالى: وهذه عبادة العبيد.
الثاني: أن يفعل ذلك لطلب الجنة والثواب: وهذه عبادة التجار.
الثالث: أن يفعل ذلك حياء من الله، وتأدية لحق العبودية، وتأدية للشكر .... وهذه عبادة الأحرار. « انتهى »

وقد علق الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - على هذا الكلام في (مجموعة الحديث النجدية) فقال:

هذا التقسيم أشبه بكلام الصوفية منه بكلام فقهاء الحديث. والتحقيق أن الكمال: الجمع بين الذي سماه عبادة العبيد، وكلنا عبيد الله، والرجاء في ثواب الله وفضله، الذي سماه عبادة التجار. انتهى كلام الشيخ.

قلت: إن الإمام النووي كان هذا القول له في بداية الطلب للعلم وكتبه التي بعد هذا الكتاب؛ تؤصل منهج الرغبة والرهبة، وقد نقلنا الشيء الطيب الوفير من « رياض الصالحين » وكذا من كتاب « الأذكار» وهما من آخر ما كتب، كما صرح بذلك.

٢-سيد قطب:

يقول في كتابه "الظلال" في تفسير سورة محمد ((ص ٣٢٩١ و ٣٢٩٢)):

هنالك ناس يصلح لتربيتهم، ولاستجاشة همتهم للعمل يصلح لجزائهم ويرضي نفوسهم، أن يكون لهم أنهار من ماء غير آسن، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أو أنهار من عسل مصفّى، أو أنهار من خمرٍ لذة للشاربين. أو صنوف من أكل الثمرات. مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات ... فلهؤلاء ما يصلح لتربيتهم، وما يليق لجزائهم.

وهنالك ناس يعبدون الله لأنهم يشكرونه على النعمة التي لا يحصونها، أو لأنهم يحبونه ويتقربون إليه بالطاعات تقرب الحبيب للحبيب، أو لأنهم يستحيون أن يراهم الله على حالة لا يحبها؛ ولا ينظرون وراء ذلك إلى الجنة أو إلى النار، ولا إلى النعيم أو العذاب على الإطلاق، وهؤلاء يصلح لهم تربية، ويصلح لهم جزاء أن يقول الله لهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ ((مريم ٩٦))

أو أن يعلموا أنهم سيكونون:

﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ ((القمر ٥٥))

(وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ

غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟
قَالَ أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟) «رواه البخاري»

وتقول رابعة العدوية: أو لو لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد، ولم يخشه أحد؟.

وتجيب سفيان الثوري وقد سألها: ما حقيقة إيمانك؟

تقول: ما عبدته خوفاً من ناره، ولا حباً لجنته، فأكون كالأجير السوء: عبدته شوقاً إليه ...".

وبين هذا اللون وذلك ألوان من النفوس والمشاعر والطباع ... وكلها تجد - فيما جعله الله من نعيم وعذاب، ومن ألوان الجزاء - ما يصلح للتربية في الأرض، وما يناسب للجزاء عند الله... إلخ.

قلت: وهذا الكلام باطل من وجوه:

الأول: أن هذا التقسيم بدعي، لا دليل عليه من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح؛ بل يخالفه.

الثاني: استدلاله بحديث النبي ﷺ خطأ، لأن هذا الحديث لا يخالف الأحاديث التي سبق بيانها: أنه ﷺ كان في صلاته ودعائه، وخطبه ومواعظه، وتعليمه وجهاده، يرغب إلى ربه رجاء رحمته، ورجاء نجاته من عذاب الله تعالى.

الثالث: أنه استدل بكلام رابعة العدوية وهي صوفية مغالية، وليست

على سبيل السلف الصالح.

وقد ذكرنا في الفصول بعض كلام الشيخ الألباني رحمه الله في رده على هذا الكلام.

الرابع: أن تفسير سيد قطب، -عفا الله عنه- يحتاج إلى تصفية من البدع، والانحرافات العقدية، والمنهجية، والحديثية، وذلك واجب العلماء، وقد قام بجهد يشكر عليه الشيخ ربيع بن هادي حفظه الله،

وأكتفي بهذه الكلمات، ومن قرأ هذا البحث وجد ما يشفي العليل ويروي الغليل.

٣-الشعراوي:

قال في كتابه: (المختار من تفسير القرآن العظيم):

النوع الثالث: أنه يعبده لأنه يستحق أن يُعبد. واستدل بحديث قدسي: (**لَوْ لَمْ أَخْلُقْ جَنَّةً أَوْ نَاراً أَمَا كُنْتُ أَهْلاً لأَنْ أُعْبَدَ؟**)

وهذا الحديث لم يذكر درجته، والظاهر عليه الكذب؛ لأنه يخالف القرآن، وهذا الكلام الذي ذكره في كتابه عندما فسر قوله تعالى:

﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ « الكهف ١١٠ »

فقال: والجنة أحد، يعني: عبادة الله تعالى طلباً لجنته شرك.

فإن قال قائل: أراد الشعراوي أن من عبد الجنة فقد أشرك بالله؟

نقول له: لا يوجد في الدنيا من يقول:
إنه يعبد الجنة، ولكن هذا التفسير من الشعراوي تدليس وإخفاء لعقيدته الصوفية الأشعريةً القبورية التي يتبناها، وقد ظهرت في دروسه على الرائي.
والصوفية تقول: إنما يعبدون الله لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره! وهذا عين الضلال، والله الهادي إلى سواء الصراط.
لقد صدر للشعراوي تفسير للقرآن، أكثر من اثني عشر مجلداً، ولم يكتمل بعد، وهذا يحتاج إلى جهد العلماء، وطلبة العلم لتصفيته، والتنبيه على الأخطاء التي فيه عقدية، ومنهجية، وتربوية؛ وكذا سائر كتبه. والله أعلم.



محتويات الكتاب

المقدمة.................................... ٣
آيات الترغيب................................ ٥
آيات الترهيب................................ ٦
آيات الترغيب والترهيب........................ ٨
الأنبياء والترغيب والترهيب...................... ١١
من أقوال المفسرين........................... ١٤
أحاديث الخوف............................... ٢٥
أحاديث الرجاء............................... ٣٢
أحاديث الخوف والرجاء........................ ٣٧
أقوال العلماء في الخوف والرجاء.................. ٤٢
لزوم العبودية حتى الموت....................... ٥٥
هدي الرسول ﷺ في عبادته...................... ٥٨
هدي النبي ﷺ في دعائه........................ ٦١
هدي النبي ﷺ في خطبه......................... ٦٢
هدي النبي ﷺ في الدعاء........................ ٦٣
هدي النبي ﷺ في الجهاد........................ ٦٤
الرد على مخالفي المنهج......................... ٦٧
محتويات الكتاب.............................. ٧٢

تابع اقرأ سلسلة التوجيهات للمؤلف

١٨- تكريم المرأة في الإسلام .
١٩- كيف نفهم التوسل ؟
٢٠- كيف اهتديت إلى التوحيد والصراط المستقيم ؟
٢١- فضائل الصلاة والسلام علىٰ محمد خير الأنام .
٢٢- تحفة الأبرار في الأدعية والآداب والأذكار .
٢٣- تفسير وبيان لأعظم سورة في القرآن .
٢٤- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
٢٥- شهادة الإسلام (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) .
٢٦- الصوفية في ميزان الكتاب والسنة .
٢٧- التحذير من فتنة الكفر والتكفير .
٢٨- من آداب الإسلام لإصلاح الفرد والمجتمع .
٢٩- التحذير الجديد من مختصرات الصابوني في التفسير .
٣٠- تحذير الإخوان من انحرافات عبد الرحيم الطحان .
٣١- أخطاء شائعة يجب تصحيحها في ضوء الكتاب والسنة
٣٢- الصلاة عماد الدين .
٣٣- صيام رمضان .
٣٤- من أحكام الزكاة والمعاملات .

خلاصة البحث

١- إن الرغبة والرهبة ثابتة في الكتاب والسنة.

٢- إن الرغبة والرهبة من منهج النبيين عليهم السلام: في عبادتهم ودعائهم، وصلاتهم.

٣- إن النبي ﷺ كان يُعلِّم أصحابه الرهبة والرغبة في دعائهم، وعبادتهم، وصلاتهم.

٤- إن الرغبة والرهبة من منهج الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح.

٥- الرغبة والرهبة أصل العبادة :

على المسلم أن يجمع بين الخوف والرجاء في حال حياته، ويُغلب الرجاء على الخوف عند موته، لقول رسول الله ﷺ:

(لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ) ((رواه مسلم))

٦- إن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، والعلماء قديماً وحديثاً، ترد على من خالف منهج الخوف والرجاء، مثل:

أ- ما ينسب إلى رابعة العدوية.

ب- سيد قطب.

ج- الشعراوي.

٧- إن عبادة الله من غير رغبة ورهبة من منهج الصوفية المنحرفة.

يوزع مجاناً على نفقة المحسنين
رقم الإيداع : ١٤٢٤/١١٩٩